

النزعة الجنينية،

يتنازع الإنسان في تصوُّرنا اتجاهان أصليان كامنان في النفس البشرية: النزعة الطبيعية/المادية (التي يمكن أن نسميها «الجنينية») والنزعة الإنسانية (التي يمكن أن نسميها «الربانية»). وفي إطار النزعة الجنينية ثمة نزوع نحو الواحدية، وإلغاء المسافة، وتصفية الثنائيات. والإنسان في هذا الإطار يشبه الجنين في رحم أمه. لا يفصله فاصل مادي أو معنوي عما حوله، ولا توجد مسافة أو حيز يفصلان بينهما. أو يكون مثل الطفل الرضيع في الأشهر الأولى من حياته، حين كان يتصور أنه لا يزال جنيناً في الرحم لا يفصله فاصل مادي أو معنوي عن أمه، وأنه جزء لا يتجزأ منها، وحينما يجوع فالشدي يأتيه مباشرة (أي أنه لا يوجد فاصل بين المثير والاستجابة)، ثم يمسك الطفل بثدي أمه فيتصور أنه قد تحكم في العالم بأسره، وأنه قد تواصل مع العالم كله، وأن الدائرة قد انغلقت تماماً. . فيشعر بالطمأنينة الكاملة والتحكم الكامل!

والعالم الجنيني عالم واحد بسيط، عضوي مُصمّت، لا تتخلله أية مسافات أو انقطاعات أو ثنائيات، فهو مكوّن من جوهر واحد، مرجعية ذاته، لا يمكن لكائن داخله تجاوزه، فهو لا يختلف كثيراً عن عالم الطبيعة/المادة، أو عالم وحدة الوجود المادية. وعلاقة الجنين بالرحم أو الرضيع بثدي أمه لا تختلف كثيراً عن علاقة الإنسان الطبيعي بالطبيعة/المادة، أو علاقة الإنسان بالكون في الإطار الحلولي، ولأن حدود الإنسان هي حدود الرحم (وهي أيضاً حدود الكون والطبيعة/المادة) فلا يوجد حيز إنساني مستقل. ولذا، فالإنسان حين تهيمن عليه النزعة الجنينية يشبه الإنسان الطبيعي، يتصور أنه لا تحدّه حدود ولا تعوقه قيود. ولكنه في واقع الأمر خاضع للحتميات، مسلوب الإرادة والوعي والمقدرة على التجاوز (رغم وهم التحكم الذي يسيطر عليه). هذه النزعة الجنينية (الحلولية الطبيعية/المادية) هي، في واقع الأمر، رغبة في التخلص من تركيبية الذات الإنسانية وتعينها، ومن عبء الخصوصية والوعي الإنساني والهوية، وهي محاولة للهروب من الواقع الإنساني